إسلامية المعرفة
بين الأمس واليوم

أ.د / طه جابر العلواني

المعهد العالمي للفكر الإسلامي
القاهرة
١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م

إسلامية المعرفة

بين الأمس واليوم

الطبعة الأولى
١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦م

الكتب والدراسات التى يصدرها المعهد
تعبر عن آراء واجتهادات مؤلفيها

(سلسلة إسلامية المعرفة ؛ ٢١)

المعهد العالمى للفكر الإسلامى
٢٦ ب - ش الجزيرة الوسطى - الزمالك - القاهرة - ج.م.ع.

بيانات الفهرسة أثناء النشر - مكتبة المعهد بالقاهرة .

العلوانى ، طه جابر .
إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم / طه جابر العلوانى
- ط ١ . - القاهرة : المعهد العالمى للفكر الإسلامى ،
١٩٩٦ .
ص ؛ سم . - (سلسلة إسلامية المعرفة ، ٢١) .
تدمك ٤ - ١٤ - ٥٦٥٨ - ٩٧٧ .
أ - الإسلام والمعرفة   أ - العنوان .
ب - (السلسلة) .

رقم التصنيف : ١٠٠ ، ٢١٤ .
رقم الإيداع : ٩٤٩٣ / ١٩٩٦ .

المحتويات

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرسول الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين .

نلتقي في هذا الكتيب مع الأستاذ الدكتور طه جابر العلواني رئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي يشرح ويوضح الرؤية المنهجية المعرفية التي تبناها المعهد العالمي منذ إنشائه وإلى اليوم والتي أُطلق عليها « إسلامية المعرفة » ، حرر معناها ووضح مبناها وبذلك أزال كثيراً من الأفهام المغلوطة حول مفهومها والتي أخرت في أحيان كثيرة قبول المثقفين لتلك الرؤية المنهجية وجعلت آخرين يهاجمون المعنى الذي قام بأذهانهم ، ولم يكن له نصيب من الواقع ولم يكن مراداً لتلك المدرسة الفكرية التي يؤمل فيها وبها الخروج من الأزمة الفكرية في عالم اليوم سواء عند المسلمين أو عند غيرهم .

إن الإسلام باعتباره دعوة عالمية ، يخاطب العقل الإنساني والوجدان البشري في كل زمان ومكان لا يمكن أن يفهم ولا أن يتم تفعيله إلا بهذه الرؤية المنهجية التي ينبغي أن يقبلها كل منصف ومفكر يسعى إلى الحق والحقيقة .

إن إسلامية المعرفة باعتبارها رؤية تنبثق من عقيدة كلية عن الإنسان والكون والحياة ، وكذلك تنبثق عن الإجابة على الأسئلة الكلية المتعلقة بالوجود والقِيَم والمعرفة ، وهي باعتبارها منهجية ينبثق منها نظام معرفي وإجراءات ومبادىء فإنها تمكن من التعامل مع مصدري المعرفة عند الإنسان في جانبي الوحي والوجود والعلاقة بينهما ، أما باعتبارها معرفية فإنها ترسم الطريق لنهج محدد ينبغي أن تكون عليه العلوم الاجتماعية والإنسانية في عالمنا اليوم .

إننا في هذا الكتاب أمام تحديد واضح لقضية من أهم القضايا التي ينبغي أن يلتفت إليها كل المثقفين وخاصة المسلمين منهم ألا وهي قضية إسلامية المعرفة بهذا المعنى الذي قرره أستاذنا الدكتور طه جابر في كتابه هذا ، وهو ما يصلح لأن

يكون نقطة بداية وانطلاق للفكر الإسلامي المعاصر في ظل هذا التغير وسرعته وزخمه بعد ثورات الاتصالات والمواصلات والتقنيات التي لم تجعل الأمر ثابتاً بل جعلته سريع التطور ، بل والتدهور في كثير من الأحيان .

فجزى الله أستاذنا خيراً عما أوضح وبين ، وعسى أن ينفع الله بهذا المصنف وأن يعم نفعه بين الناس ، والله الموفق

أ . د / علي جمعة محمد

الأستاذ بجامعة الأزهر

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فقد استقر في فكر مدرسة « إسلامية المعرفة » منذ إنشائها أنها رؤية منهجية معرفية وليست حقلاً علمياً دراسياً أو تخصصاً أو أيديولوچية أو نحلة جديدة ، ولذلك فهى تسعى دائماً في قضايا المعرفة والمنهج إلى التجدد والتبلور واكتشاف الذات والواقع وعدم التقوقع أو الوقوف عند مرحلة زمنية معينة أو مقولات وتحديدات ثابتة ، فهي تدرك فعل الزمان في الأفكار وأثر المراحل التاريخية في تجدد الفكرة وإنضاجها ونموها واكتمالها . ومن ثم فلن يدرك طبيعة « إسلامية المعرفة » ويفقه جوهرها من ينظر إليها على أنها مقولات ثابتة محددة أو أيديولوچية بحثية أو حركة مذهبية ، لأن إدراك حقيقتها يتوقف على النظر إليها على أنها منهج في التعامل مع المعرفة ومصادرها ، أو منظور معرفي في طور البناء والإنضاج والكشف والنمو والاختبار .

ولذلك تكون المراجعة المستمرة ضرورة منهجية ومعرفية ، ويكون الانتقال من العام إلى المحدد ومن الكليات إلى الجزئيات أمراً منطقياً وضرورياً ، ولذلك جاء العرض الأول لمباديء هذه القضية وخطة عملها في كتاب « إسلامية المعرفة » عاماً ومرناً إلى حد كبير ، حيث تناول نقداً مركَّزاً للمنهجية التقليدية وللمنهجية الغربية معاً ؛ ليمهد لهذه القضية وليبين أهميتها ومدى الحاجة إليها .وحاول أن ينبه إلى جملة من الدعائم الأساسية التي لا بد من ملاحظتها عند محاولة بناء النظام المعرفي الإسلامي القائم على الرؤية الإسلامية وخصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، كما عالج باختصار شديد الجانب الفكري من جوانب « إسلامية المعرفة» ، وعلى الرغم من ذلك فقد كان هناك تركيز مقصود على الجانب الإجرائي الذي يستلزمه إنتاج الكتاب المنهجي في العلوم الاجتماعية كضرورة أولية لتنبيه الأذهان إلى حالة الاغتراب أو الاستلاب الثقافي التي تحياها الأمة الوسط ، وحدد بحسب تصور تلك الفترة لمتطلبات هذا الجانب الإجرائي – اثنتي عشرة

خطوة اعتبرها أساساً ومنطلقاً لإنتاج الكتب المنهجية في العلوم الاجتماعية وهي خطوات مثلت سبقاً في مضمارها وإن كان لا يوجد ما يحول دون الإضافة إليها وتطويرها .

ولقد صادفت تلك الخطة ومباديء العمل التي أوضحها كتاب إسلامية المعرفة اهتماماً كبيراً ، ومثلت نقلة فكرية نوعية وقوبلت لدى الكثيرين بقبول حسن ، وكتب في تزكيتها وتأييد فكرتها الكثير وتبنتها جهات أكاديمية وحاولت العمل بمقتضاها وتجربة الإنتاج في إطارها ، غير أن البعض لم يستطع أن يفهم قضيتها المنهجية الأساسية وتوهم أنها بشكلها الإجرائي ذاك تمثل مذهبية ، فرماها البعض بما رماها به ولم تخل من سخرية أو انتقاد بعض من اعتادوا أن يقرءوا الأمور وفقاً لقناعات مسبقة لا صلة لها بما قرءوا بل ترتبط بتداعيات قد يثيرها ما ورد من مفاهيم أو مصطلحات .

كما أن البعض ظن أنها محاولة من فصيل إسلامي أصولي لاستلاب المعرفة والفكر والثقافة وتحويلها إلى جزء من أدوات سلطة سياسية تضاف إلى السلطة التي كانت تتوثب إليها بعض الحركات السياسية الإسلامية ، مما جعل ذلك الفريق ينظر إليها كخطاب أيديولوجي لا كخطاب معرفي ومنهجي .

كما أن الذين استلبوا توهموا علمية وعالمية كل ما جاءت به المعرفة الغربية المعاصرة انطلاقاً من مركزية الغرب ، ظنوا أنها جزء من حالة الرفض الواعي ، أو اللاواعي للآخر ولكل ما لديه من شر وخير ونزعة للتوكيد على الذات من خلال محاولة تديين كل شيء وإعطائه صفة الإسلامية ، أو تعبيراً عن جزء من رغبة التسلط الإسلامي الشامل على كل شيء في الدولة والمجتمع ومنه المعرفة الدنيوية أو الاجتماعية والإنسانية واحتوائها ، وجعل الممارسات المعرفية وتأويلها وقفا على الإسلاميين وحرمان الماركسيين واللينيين والعلمانيين وأمثالهم من القاطنين في ديار المسلمين من حق الممارسات المعرفية ، أو نزع صفة الإسلامية عن ممارستهم وإنتاجهم في أقل تقدير . ولا شيء من ذلك قد خطر ببال أحد من حاملي هموم هذه القضية الأوائل أو دخل في دائرة أهدافهم ومقاصدهم منه (١) .

ولم يرد شيء من ذلك في أدبيات هذه المدرسة التي لم تغفل عن خصائص هذه القضية المنهجية المعرفية التجديدية التي قد لا تتبلور بشكل محدد قبل مضي عقود

من السنين ، فهي ليست مما يمكن أن يحدد في إعلان مبادىء أو بيان أو برنامج حزبي ، بل هي معالم منهجية معرفية تسعى لتتجسد في معارف يمكن أن تساعد في إعادة تشكيل العقل المسلم ، وليكون لهذه الأمة دور في معالجة أزمتها الفكرية ومشاركة في معالجة الأزمة الفكرية العالمية ، كذلك من خلال السعي إلى معالجة أزمة المعرفة والمنهج والعمل على الوصول إلى الحقيقة وحباً فيها ؛ كما أن الذين يحملون هذا الهم يدركون أن العمليات المعرفية - في هذا المستوى - تمثل أعقد مستويات الفعل الحضاري وتحتاج إلى أجيال وعقود كي تستوي على سوقها وتنضج ولكنها لا تنتهي ، فالعلم لا يعرف التوقف وخلق الله أكبر وفوق كل ذي علم عليم ، ومعارف السماء والأرض دائماً في امتداد واتساع ومعارف الإنسان كذلك في تزايد وتراكم ، والله سبحانه كل يوم هو في شأن . ومن ثم فإن جوهر المعرفة وعمادها هو المنهج بمعناه العام ، ولذلك كانت رسالة الإسلام في مجملها منهاج حياة شامل وليست تفاصيل حياة إلا في الثابت منها ، وهو غير ما يحتاج إلى تجدد أو تغير والذي لا يخضع لفعل الزمان والمكان وقليل ما هو (٢) .

وحين حاول بعض المنتمين إلى هذه المدرسة والباحثين في قضاياها تعريفها فإنهم لم يحاولوا تقديم تعريف « جامع مانع » كما يقال ، بل أعطوا نوعاً من الرسم يقربها إلى الأذهان من خلال تصورهم لها أو لأولويات العمل فيها ، كما فعل الدكتور عماد الدين خليل حين عرف « إسلامية المعرفة » بقوله : « تعني إسلامية المعرفة » أو « أسلمة المعرفة » ممارسة النشاط المعرفي كشفاً وتجميعاً وتوصيلاً ونشراً من زاوية التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة (٣) .

وكما عرفها الأستاذ أبو القاسم حاج حمد بقوله : « أسلمة المعرفة تعني : فك الارتباط بين الإنجاز العلمي الحضاري البشري والإحالات الفلسفية الوضعية بأشكالها المختلفة وإعادة توظيف هذه العلوم ضمن نظام منهجي ديني غير وضعي، وهي - عنده - تعني - فيما تعنيه - أسلمة العلم التطبيقي والقواعد العلمية أيضاً، وذلك بفهم التماثل بين قوانين العلوم الطبيعية وقوانين الوجود التي ركبت على أساسها القيم الدينية نفسها ، ولذلك تتم أسلمة الإحالات الفلسفية للنظريات العلمية بحيث تنفي عنها البعد الوضعي ، وتعيد صياغتها ضمن بعدها الكوني الذي يتضمن الغائية الإلهية في الوجود والحركة » ، ويؤكد أبو القاسم شأنه شأن

سائر المنتمين إلى مدرسة « إسلامية المعرفة » أنها « أي إسلامية المعرفة » لا تعني بحال مجرد إضافة عبارات دينية إلى مباحث العلوم الاجتماعية والإنسانية باستمداد آيات قرآنية ملائمة لموضوعات العلم المقصود أسلمته ، بل هي إعادة صياغة منهجية ومعرفية للعلوم وقوانينها ، كما لا تعني مجرد سحب الانتماء الذاتي للدين على كافة الموضوعات لإضفاء الشرعية الدينية على الإنجاز الحضاري البشري واستلابه دينياً بمنطق الاحتواء اللاهوتي واللفظي (٤) .

لكن هذه التعريفات - كما قلت - وسائر التعريفات الأخرى إنما هي لتبيين وتوضيح القضية ، وإمكان الإلمام بمعالمها وخواصها لا لوضعها في إطار « حد جامع مانع » - كما يتوهم البعض - فنحن نفضل أن لا تحصر « إسلامية المعرفة » في إطار مغلق في حد جامع مانع ، لأنها قبل ذلك وبعده : بناء لنظرية المعرفة التوحيدية التي تؤمن بأن للكون خالقاً واحداً أحداً ليس كمثله شيء ولم يحل في شيء وهو خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ، لا تحيط به العقول ولا تدركه الأفهام حق الإدراك . استخلف الإنسان وعلمه ما لم يكن يعلم ، وجعل الوحي مصدراً إنشائياً أساساً لمعرفته والوجود مصدراً موازياً ، بقراءتهما في إطار التوحيد الخالص تتكون المعرفة السليمة الرشيدة الهادفة ، معرفة التوحيد والاستخلاف والأمانة والعمران والشهود الحضاري .

لذلك فإننا حين نقدم هذه الأفكار والقواعد في إطار هذه القضية فإننا نقدمها من المنطلق ذاته ، مجرد معالم للعمل في دائرتها ، وخطوات ومؤشرات يمكن استفادة الباحثين بها في ممارسة الإنتاج العلمي والمعرفي من منظور « إسلامية المعرفة » .

لقد تكونت هذه المؤشرات أو الخطوات عبر تجارب وخبرات ومحاولات متنوعة مع « إسلامية المعرفة » في جانبها الفكري والإجرائي ولا شك أن التعامل البحثي مع هذه المؤشرات أو المحاور الستة التي سيأتي بيانها في هذه الورقة سوف يكون له أثره في بلورة قواعدها ، وتوضيح جوانبها واختبار فاعليتها فكرياً وبحثياً وتعليمياً، ولذلك فإننا ننتظر من سائر الباحثين الذين سيتعاملون مع هذه المؤشرات أن يوافونا بملاحظاتهم وآرائهم وخلاصة ما قد يتوصلون إليه من أفكار حول هذه المحاور ومدى استجابتها لمتطلبات هذه القضية المعرفية المنهجية .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل . . .

● حقيقة إسلامية المعرفة وأهميتها :

إسلامية المعرفة تمثل الجانب الفكري والمعرفي من الإسلام الذي بدأ بأبي الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - وتكامل على يد خاتم الأنبياء محمد - ﷺ - الذي بدأ الوحي له بـ « اقرأ . . » ثم انتهى بـ « اليوم أكملت لكم دينكم . . . » إن الجانب المعرفي من الإسلام بمعناه الشمولي الذي بدأت إصداراته الأخيرة بنزول قول الله تعالى : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ (العلق : ١ - ٥) ، ثم بقوله : ﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾ (القلم : ١ - ٢) ، ثم بقوله : ﴿الرحمن علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان ﴾ (الرحمن : ١ - ٣) . فنحن مأمورون بقراءتين يجب علينا أن نجمع بينهما لكتابين أنزل الله تعالى أحدهما ، وخلق الثاني . الكتاب الأول هو القرآن الكريم المكنون المجيد ، الذي فيه تفصيل كل شيء ، والكتاب الثاني هو الكون والخلق الذي ما فرط الله فيه من شيء ، وقراءة أي منهما بعيداً عن الآخر لا تغني عن الإنسان شيئاً ولا تكفيه لتحقيق وإيجاد المعرفة الحضارية الشاملة التي تدون وتسطر ويجري تناقلها فيتمكن من فهمها والإفصاح عنها والإبانة عن قضاياها وتداولها بين أمم الأرض ؛ ليتمكن من القيام بمهمة الاستخلاف وأداء الأمانة وتحقيق العمران الذي خلق الجنس البشري لتحقيقه ، والدخول في السلم كافة ، وظهور الهدى ودين الحق بينهم لتشرق الأرض بنور ربها ، وتتحقق غاية مشيئة الحق سبحانه من الخلق في قيامه كله بعبادة الله ، واستواء النجم والشجر والوجود في السجود ، وانتظام الكون كله في فريق التسبيح : ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ (الإسراء : ٤٤) . وحين يظهر أي اضطراب في الحياة البشرية في أي مجال من مجالاتها فإن ذلك يكون مؤشراً على اختلال منهج القراءة أو اضطرابه بالاقتصار على إحدى القراءتين أو بعدم الجمع بينهما أو الطغيان في الميزان الذي وضعه الله - تعالى - لوزن الأمور وضبطها ، أو الانحراف عن المنهج : ﴿ ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ﴾ (المائدة : ٤٨) ، ولا يمكن في هذه الحالة تصحيح الأوضاع إلا بإعادة الأمور إلى نصابها ، والجمع بين القراءتين ، فكل من القراءتين ركن معرفي

ومصدر إنشائي لا يمكن تجاوزه أو التساهل في قراءته ، ويستحيل قيام عمران رشيد، وحضارة سديدة بدون جمعهما وضمهما - معاً - إلى درجة الدمج التام ، لأن من تجاوز القراءة الأولى (أي قراءة الوحي) واستغرق في القراءة الثانية (أي قراءة الكون) فقد الصلة بخالق الكون ، وفقد الإحساس بالخلافة فيه، والشعور بأنه مؤتمن عليه ومحاسب على ما يصنعه فيه ، ومثاب على العمران ومسؤول ومعاقب على التخريب والإفساد ، وسيطرت عليه مشاعر التفرد والغرور والاستبداد المؤدي للطغيان وتجاهل الغيب ، وانطلق في بناء فلسفة وضعية عوراء قاصرة لا تمكنه من المعرفة الحقيقية ، بل تجعله - في أحسن الأحوال - من أولئك ﴿ **الذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون** ﴾ (الروم : ٧) فكثيراً ما يعجز هذا الإنسان عن الحصول على إجابات سديدة عما يعرف « بالأسئلة الكلية» أو « العقد الفلسفية » ويحول كل ما غاب عن حواسه القاصرة إلى مجرد ما ورائيات لا يكاد يفهمها ، ولا يستطيع أن يفصح عنها ، وقد يستبد بتقديم إجابات ما أنزل الله بها من سلطان على أسئلته فيضل ويتيه - وحتى الخالق الباريء المصور - جل شأنه - قد يراه القاريء القاصر المنبت جزءاً من المجهول ، وإذا كان قد مارس خلقاً أو إيجاداً فإنه قد مارسه بقوة الدفعة الأولى ، ثم نسيه أو تناساه ليبقى الكون - بعد ذلك - فاعلاً ومنفعلاً بقوى الطبيعة المتجادلة بشكل آلي، وهذا النوع من القارئين حتى فى حالة إيمانه وتدينه فإنه لا يستطيع الإيمان بالله الواحد القهار الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، بل إن هؤلاء يؤمنون حين يؤمنون بإله يصورونه بالشكل الذي يريدون ويحلونه في قوى الطبيعة ذاتها فهو نوع من الإيمان الحلولي المشوب بالشرك والوثنية الذي يؤدي أحياناً إلى المادية الجدلية التي أنكرت وجود خالق تماماً وطرحت بدائل له يتعذر فهمها فضلاً عن أن تكون بدائل مقنعة للعقل الحائر مثل ما عرف « بنظريات النمو الطبيعي والتطور ونحوها » ، وهي التي أحلها هؤلاء محل الخالق العظيم ، تعالى الله عما يصفون . أو ينتهي إلى الحلولية المعقدة التي تجعل الإنسان هو الذي يتخذ الإله فيجعل إلهه مرة ما يشتهيه وأخرى ما يحبه أو ما يرجوه أو ما يخافه .

وفي إطار هذه القراءة المنفردة في الكون يتخذ الكون شكل القوى المتصارعة المتنابذة وكثيراً ما يتخذ الإنسان نفسه إلهاً بدافع من المشاعر التي تولدها هذه الانحرافات في التصور والاعتقاد فيتوهم أنه مسيطر على كل شيء بعلمه المحدود

ومعرفته القاصرة فيمجد ذاته الفانية ، ويتخذ إلهه هواه ، ويستمد قيمه من الطبيعة ذاتها ، وحتى الأديان تتحول عنده إلى شيء يوظف عندما تدعو الحاجة لسد ثغرة أو تلبية رغبة أو أداء خدمة ، وهنا يحق عليه القول : ﴿ **كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى** ﴾ (العلق : ٦) ، فيقع في الاستبداد والطغيان ، وتحدث كوارث البيئة ويظهر التلوث والفساد في البر والبحر والجو بما كسبت أيدي الناس ويختل التوازن وتظهر أمراض الانحراف والشذوذ في المعمورة ، فقارات يعمها الجوع والخراب وأخرى تعمها الأمراض بكل أشكالها والجرائم بكل أنواعها وتسود المعيشة الضنكة : ﴿ **ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى** ﴾ (طه : ١٢٤) .

أما إهمال القراءة الثانية ، قراءة الوجود والكون مع تجاوز جمعها وضمها إلى القراءة الأولى في الوحي أو الاقتصار على قراءة الوحي منفرداً منقطعاً منبتاً عن الوجود ، فإن ذلك يؤدي إلى خلل قد يكون منه النفور من الدنيا ، واستقذارها والزهد فيها بشكل قد يشل طاقات الإنسان العمرانية والحضارية ويعطله عن أداء مهام الخلافة والأمانة والعمران ، ويحول بينه وبين التمتع بنعمة التسخير ويعطل فكره وينتقص من قيمة فعله بل قد يلغى فعله فلا يرى الإنسان نفسه فاعلاً في شيء ولا يرى لوجوده في الحياة معنى ، وكل هذه الأفكار منافية تماماً لمنهج القرآن العظيم ومنهج الرسول الكريم ﷺ .

إن تجاوز القراءة في الوجود أو عدم جمعها مع القراءة الأولى لا يقتصر ضرره على ما أشرنا إليه من ظهور العجز الإنساني الحضاري وتعطل الطاقات البشرية ، بل إنه يؤدي كذلك إلى خلط عجيب بين قضايا عالم الغيب وعالم الشهادة ، وقد يتوهم المقتصرون على القراءة الأولى أن تنزيه الباريء - جل شأنه - لا يتم إلا إذا ألغيت قيمة الفعل الإنساني ونفيت إرادته واختياره واستلب استلاباً كهنوتياً من دوره الإيجابي الذي وضعه الله له .

والناظر في مقالات أصحاب هذه القراءة من إسلاميين وغيرهم يجد في مقالاتهم العجب العجاب في قضايا الخلط بين الفعل الإنساني والفعل الإلهي والإرادة الإنسانية والإرادة الإلهية وقضايا الاختيار والعلل والأسباب وسواها .

إذن لا بد من الجمع بين القراءتين : قراءة الوحي وقراءة الوجود والدمج بينهما

لئلا يقع الإنسان في أي من الطرفين الذميمين ، ومن هنا كانت « إسلامية المعرفة» ضرورة معرفية وضرورة حضارية للخروج من المأزق المعرفي المعاصر والأزمة الفكرية العالمية المعاصرة ، ذلك أنه بعد تكريس البعد المنهجي العلمي في التفكير واجهت الحضارة الغربية - نفسها - مشكلة تحديد الصياغة المنهجية لحضارتها ومعرفتها صياغة تستند إلى تطور الغرب العلمي بكل جوانبه ، ولقد كانت الماركسية محاولة لإيجاد هذه الصياغة في إطار المادية الجدلية وها هي الماركسية تنهار أو تكاد بانهيار الاتحاد السوفييتي قبل أن يجد الغرب البديل المعرفي والمنهجي لها لتبقى الحضارة الغربية مكشوفة دون صياغة فلسفية بديلة ودون إجابات عن معظم الأسئلة الكلية (النهائية) المعلقة التي يشيح علماء اليوم بوجوههم عن الإجابة عليها .

إن أزمتنا نحن المسلمين أشد وأنكى فنحن شركاء في الأزمة العالمية من ناحية بحكم خضوعنا للمركزية الغربية المهيمنة علينا وانعكاس كل ما تواجهه هذه المركزية الغربية على حياتنا ، لأن علاقتنا بها لم تعد علاقة برانية أو هامشية كما قد يتوهم البعض - لأنها قد نجحت من خلال غزوها الفكري والثقافي والمؤسسي أن تفرض علينا كما أشرنا وعلى العالم كله منهجها ووعيها العلمي للوجود والحركة الكونية ورؤيتها للتاريخ والعلم والمعرفة والحضارة والثقافة والتقدم والتخلف وغيرها .

فما هي « إسلامية المعرفة » التي نقترحها حلاً لأزمتنا المعرفية والفكرية وأزمة العالم معنا وكيف يمكن تحقيقها ؟

تتحقق إسلامية المعرفة - كما ألمحنا - بقراءة كتابين وتؤسس على تقابلهما وتكاملهما منهجاً في البحث والاكتشاف وهما الوحي المقروء والكون المتحرك الذي يتضمن ظواهر الوجود كافة . فالقرآن العظيم كالكون البديع كلاهما يدل على الآخر ويقود إليه ، فالقرآن يهدي إلى الكون والكون يدل ويرشد إلى القرآن كذلك .

وهذا ما دعوناه (بالجمع بين القراءتين) قراءة تستصحب الوحي في قراءة الكون وفهمه واكتشاف سننه وقراءة تستصحب سنن الكون في فهم آيات الوحي ، وغاية قراءة الوحي التنزل من الكلي إلى الجزئي والربط بين المطلق والنسبي بقدر ما تتيحه

قدرات البشر العقلية النسبية في فهم تنزلات الكلي وربطه بالواقع المتغير الجزئي . وقراءة الكون تمثل عروجاً من الجزئي النسبي باتجاه الكلي المطلق وفق القدرات البشرية النسبية الجزئية أيضاً على فهم الظواهر . وبذلك ينعدم الفصام المزعوم بين الوحي والمعرفة الموضوعية للكون والوجود ، وهذا ما أكدته الآيات في سورة العلق: ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم* الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ (العلق : ١ - ٥) .

أما حين يحدث الفصام بين القراءتين ، فبالإضافة إلى ما تقدم من سلبيات فإن مناهج المعرفة البشرية قد تصل إلى نتيجتين خطيرتين : فالذين يتعلقون بالقراءة الأولى - وحدها - يسقطون الجانب الموضوعي الذي يرتبط بمعرفة الواقع من حسابهم فيجعلون الدين أشبه بلاهوت يستلب الإنسان والكون ، وينفي الأسباب وقوانين الحركة وصيرورتها ويهمل كذلك السنن الاجتماعية والتاريخية والنفسية والاقتصادية التي يتفاعل معها الإنسان ، فينتهي الناس إلى فكر سكوني جامد يلغي عامل الزمن من حسابه ويهمل الصيرورة التاريخية من اعتباره وقد يحسب على الدين وما هو منه .

والذين يتعلقون بالقراءة الثانية وحدها فإنهم - في الحقيقة - ينفون الوجود الغيبي للخالق الفاعل في الوجود وحركته ، أو يتجاوزونه فينتهون تدريجياً إلى الفكر الوضعي في المعرفة الذي يؤثر بدوره على النسق الحضاري ، ذلك التأثير السلبي الذي نشهده في الحضارة الغربية المعاصرة التي وقعت بين تجاهل الغيب أو الإلحاد به وإنكاره ، فانتهت إلى نزع القداسة عن كل شيء وبلغت الغاية في التحليل والتفكيك وُغاية العجز في الربط والتركيب وهاهي تواجه هوة الشعور بعبثية الوجود وتقف على حافة العدمية ويتعالى صراخها بالحديث عن النهايات ... نهاية التاريخ .... نهاية الحضارة ... ونهاية خط التقدم ... ونهاية الحداثة ... ونهاية الإنسان إلى غير ذلك من نهايات .

وهكذا تنقسم البشرية وتتمزق بين اللاهوت والوضعية ، في حين أن أول التنزيل ينفي صفة اللاهوت - بمفهومه الغربي - عن الغيب حيث يربط بين الغيب والقراءة الثانية ، أي القراءة الموضوعية التي تدون بالقلم ، كما تنفي عن القراءة الموضوعية نهاياتها الوضعية حين تربطها بالقراءة الأولى أي قراءة الوحي ،

والقاريء في الحالتين هو الإنسان المستخلف تبعاً لإيمانه بالوحي وفهمه له من ناحية، وفهمه لظواهر الوجود الكوني وسننه وقوانين حركته من ناحية أخرى فهو القاريء لهما .

إن البشرية اليوم تعاني الكثير في معارفها الحديثة من جراء الفصام القائم في المناهج التربوية والنظم التعليمية بين علوم الدين والعلوم الكونية ، ولم تتوصل البشرية بعد في معارفها الحديثة إلى الصيغة التي تؤهل الطالب ليجمع بين العلمين في إطار واحد ، ومبعث ذلك أن الحضارة البشرية المعاصرة قد ارتضت المناهج الغربية في الفصل بين النوعين من العلوم ، فطالب الوحي يذهب إلى كليات اللاهوت ، وطالب العلوم الكونية يذهب إلى كليات العلوم التطبيقية . وفي البلاد الإسلامية يجد الفصل قائماً كذلك بين كليات الشريعة وأصول الدين من ناحية وكليات العلوم الحديثة والعلوم الاجتماعية والإنسانية والتطبيقية من ناحية أخرى ، تأثراً بسيادة المركزية الغربية وبسطها سلطانها على شعوب المعمورة .

هذا الفصل هو الذي أدى ولا يزال يؤدي إلى الفصام بين الدين وقيمه والمعرفة ومعطياتها ، وهو يحمل خطورة أخرى بالنسبة لنا - نحن المسلمين - إذ يباعد بين العلوم الشرعية والعلوم الإنسانية والاجتماعية حيث طورت المناهج الوضعية علاقتها بهذه العلوم الإنسانية والاجتماعية وصاغتها وفق القراءة الثانية الكونية الوضعية فقط، واستبعدتها من مجال العلوم النقلية أو الشرعية التي أوغلت بدورها في الربط بين النص والمعجم اللغوي بتجاهلة في كثير من الأحيان البيئة الطبيعية ومعطيات الزمان والمكان وطبائع الإنسان وأثر ذلك كله في فهم النصوص الشرعية فهماً معرفياً تتضح من خلاله الأبعاد المنهجية والمعرفية لقواعد العقائد وارتباط الأحكام بالقيم والمصالح بموازنة دقيقة يصعب أن تفهم وتتضح أبعادها بغير الجمع بين القراءتين وقراءة كل من الوحي والكون قراءة معرفية منهجية تقوم على دعامة الجمع بين القراءتين ، إن النسق الثقافي الغربي المهيمن عالمياً ، استطاع أن يصوغ العلوم الإنسانية والاجتماعية صياغة وضعية بعيدة عن قيم الوحي وقاد البشرية إلى ثنائية متصارعة بين اللاهوت والوضعية ، هذه الثنائية المتطرفة التي ضخمت الذاتية البشرية على حساب سائر القيم الدينية والعقلية والأخلاقية فأفرزت الفردية الليبرالية ، وسوغت الصراعات القومية والاجتماعية .

● قضية منهجية :

إن قضية « إسلامية المعرفة » قضية منهجية كذلك ، تقوم على اكتشاف العلاقة المنهجية بين الوحي والكون وهي علاقة تداخل وتكامل منهجي تكشف عن استيعاب منهجية القرآن العظيم للكون وسننه وقوانين حركته ، كما أن فهم ومعرفة السنن الكونية والقوانين الطبيعية تساعد على فهم واكتشاف قواعد منهجية القرآن المعرفية ، كما تساعد على فهم نظم القرآن المعجز القديم المتسق مع التركيب الإلهي العجيب للكون وللإنسان المستخلف فيه الذي يمثل كوناً صغيراً .

إن هذه المهمة - مهمة إسلامية المعرفة - لا يستطيع القيام بها إلا من أوتي القرآن وحظا وافراً من العلوم والمعارف الاجتماعية والإنسانية المعاصرة والمتوارثة بشكل كاف لاكتشاف ذلك التداخل المنهجي بين القرآن والكون والإنسان ، ولذلك فإن إسلامية المعرفة يمكن أن تتضح أفكارها وتظهر معالمها المنهجية في إطار المحاور الستة التالية :

المحور الأول :

* بناء النظام المعرفي الإسلامي :

ونعني بذلك إعادة كشف وبناء النظام التوحيدي للمعرفة القائم على جناحين أساسيين هما : تفعيل قواعد العقيدة معرفياً وتحويلها إلى طاعة معرفية مبدعة تقدم إجابة شافية عما يطلق عليه « الأسئلة الكلية أو النهاية » وذلك من خلال الفهم المعرفي لقواعد الإيمان والتركيز على الأبعاد المنهجية لها . فما الذي يستفاد به معرفياً من الإيمان بالله الواحد وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ؟ وما هي الدلالات المنهجية لهذه القواعد ؟ وكيف نوجد القناعة بأن العلوم جميعها بل الأفكار والحضارات لا بد أن تقوم على نظرة معينة للكون وأصل مصدره وغايته وكيفية معرفته ومكوناته الأساسية : المرئي منها والماورائي . ومن ثم فإن نفي وجود الخالق أو اتخاذ موقف محايد من وجوده وعدمه ، وكذلك أي من القواعد الأخرى يترتب عليه نظام معرفي مغاير تماماً لذلك النظام الذي ينبثق عن الإيمان بهذه القواعد . ومن ثم فإنه إذا كان العقل المسلم قد درج على اعتبار هذه القواعد الإيمانية قضايا فردية اعتقادية تتعلق باعتقاد ديني لا ينعكس على شيء منهجي أو معرفي ، فإن رؤية إسلامية المعرفة - اتساقاً مع مقاصد الشرع

وخصائص رسالة الإسلام - تقوم على أن هذه القواعد تمثل أسساً للنسق الحضاري والمعرفي الذي ينشده الإسلام وهي تدرك في الوقت ذاته - أنه ما من نهضة أو حضارة على وجه الأرض قامت أو تقوم إلا على أساس معرفي ومنهجي وفي مقدمة تلك الأنساق الإسلام الذي حقق ما حققه بناء على الرؤية الإسلامية للغيب والكون والإنسان والحياة وبقية المنظومة الإيمانية ، والعقيدة الإسلامية التي تعتبر منطلق هذه الرؤية وأساسها .

الأساس الثاني الذي يقوم عليه النظام الإسلامي للمعرفة هو كشف الأنساق أو النماذج المعرفية التي سادت تاريخ الإسلام ومدارسه الفكرية الفقهية في مختلف عصوره وذلك للربط بين الأنساق المعرفية أو النماذج وبين الإنتاج الفكري الذي وجد في تلك العصور لتحديد مدى الاستقامة والفعالية والتجديد والشمول في ذلك الإنتاج ! وتحديد العلاقة بين الأزمة الفكرية التي عاشتها الأمة وبين الأنساق التي سادت في تلك الفترات ؟ وتحديد مدى أثر الأنساق المعرفية على تدهور الفكر وتطوره ، ثم محاولة كشف وبيان كيفية استمداد النماذج المعرفية الجزئية من النظام الكلي التوحيدي الذي سبقت الإشارة إليه ، وذلك تمهيداً وتوطئة لإمكانية تشكيل نماذج معرفية في مختلف العلوم الاجتماعية والتطبيقية قائمة على عقيدة التوحيد والجمع بين القراءتين ، قراءة الوحي وقراءة الواقع مع الاستفادة من النماذج المعرفية التي سادت التراث والنماذج المعرفية التي طورها الفكر الغربي أو الإنساني المعاصر.

* * *

المحور الثاني :

* بناء المنهجية المعرفية القرآنية :

إن الخلل المنهجي الذي يبدو على العقل المسلم الآن يجعل من إعادة تشكيل العقل المسلم ببناء المنهجية المعرفية ضرورة ملحة ، والمنهجية المعرفية القرآنية وإن كانت نابعة من النظام المعرفي الإسلامي وقائمة على مسلماته وقواعده المنطقية غير أن غيابها الطويل ونسيان أو تناسي التعامل معها يجعل الجهود المطلوبة لبنائها أقرب إلى الكشف منها إلى إعادة البناء والتشكيل . والمنهجية المعرفية القرآنية قادرة على التفاعل مع ظواهر بناء وتشكيل العقل المسلم ومعالجة قضاياه التاريخية والمعاصرة باعتبارها سبيلاً لذلك لأن المنهج سبيل للوصول إلى الحقيقة وطريقة

تسلك في فهم الظواهر وتحليلها ، وبالإضافة إلى ارتباط المناهج والمنهجية بعناصر النظام المعرفي ، فإن النظام المعرفي يقوم كذلك على أسس أسماها الأستاذ محمود محمد شاكر « ما قبل المنهج » ، وقصد بها الثقافة واللغة والتكوين المعرفي والنفسي للباحث . ويتكون المنهج في ذاته من فلسفة وأدوات ، وفلسفة المنهج نابعة من النسق المعرفي والاعتقادي والبناء الثقافي والأدوات كذلك ، وإن كان الأمر كما أورده الإمام السيوطي « يغتفر في الوسائل ما لا يغتفر في المقاصد » ، فإن أدوات البحث ورصد الظواهر والاقتراب منها وإن بدا أنها قد لا تتقيد كثيراً بالأطر المعرفية والثقافية والاعتقادية لكنها لا تبرأ منها ولا تبتعد كثيراً عنها ، ومن ثم فإن بناء المنهجية الإسلامية يهدف إلى بناء فلسفة المنهج على مختلف مستوياتها ومحاولة اكتشاف الأدوات التي وظفت قديماً من قبل العلماء والباحثين المسلمين ، وكذلك أدوات المنهج المعاصرة في العالم اليوم سعياً لإنشاء أو تعديل أو تكييف أدوات منهجية يقوم بها العلماء المعاصرون بعد تحقيق المواءمة والتكييف بينها وبين فلسفة المنهج التي تم بناؤها وتحديد معالمها الأساسية انطلاقاً من النظام المعرفي الإسلامي الكلي المعتمد على العقيدة والإطار الثقافي والحضاري الإسلامي كذلك .

إن بناء المنهجية الإسلامية - أو ما يمكن أن يطلق عليه قواعد المنهج - طبقاً للرؤية الإسلامية ينبغي أن يقوم على الكشف المعرفي لا على مجرد السعي للتميز ومخالفة المنهج الغربي المعاصر ، بل يجب أن يكون القصد من بناء منهجية إسلامية هو تحقيق الاتساق والتناغم بين مكونات النسق المعرفي الإسلامي بمعزل عن فكر المقارنات والمقاربات والمقابلات والتقليد والتلفيق ، وإيجاد القدرة لدى العقل المسلم على الاجتهاد والإبداع في سائر الممارسات المعرفية انطلاقاً من منهجيته المتكاملة . إن بناء مثل هذه المنهجية يعد ضرورة أولية ومقدمة لا بد منها للمحاور التالية ، كما كان المحور السابق ضرورة لازمة لهذا الحوار .

* * *

المحور الثالث :

* بناء منهج التعامل مع القرآن العظيم :

بناء منهج للتعامل مع القرآن المجيد من خلال تلك الرؤية المنهجية ، وبأعتباره مصدراً لمسلمات ما قبل المنهج كما أنه مصدراً للمنهج والشرعة والفكر والمعرفة

ومقومات الشهود الحضاري والعمراني ، ويمثل بناء هذا المنهج في التعامل مع القرآن الدعامة الثالثة من دعائم هذه القضية ، قضية إسلامية المعرفة . وقد يقتضي ذلك إعادة بناء وتركيب علوم القرآن المطلوبة لهذا الغرض ، وتجاوز الكثير من الموروث في هذا المجال من العلوم التي أدت دورها في خدمة النص القرآني ، فالعربي في الماضي قد فهم القرآن ضمن خصائص تكوين الإنسان العربي الموضوعية التي كانت لها طبيعتها البسيطة والمحدودة اجتماعياً وفكرياً بالمقارنة مع خصائص التكوين الحضاري العالمي الراهنة ، ففي تلك المرحلة التي تم فيها التدوين الرسمي للعلوم والمعارف النقلية التي دارت حول النص القرآني والحديث النبوي كانت العقلية البلاغية اللغوية وما توحي به من اتجاه نحو تجزئة النص وملاحظة معاني المفردات هي العقلية السائدة . ولذلك اعتبر الفهم الذي تولد عن تلك النظرة والتفسير الذي قام عليها مقبولاً وكافياً في تلك المرحلة من تاريخ أمتنا الفكري والمعرفي .

أما في المرحلة الراهنة فإن العقلية السائدة هي عقلية الإدراك المنهجي للأمور ، والبحث عن علاقاتها الناظمة للقضايا بطرق تحليلية ونقدية توظف الأطر العلمية المختلفة وتربطها بموضوعات حضارية متشعبة وعلاقات متنوعة ، مما يجعل إعادة النظر في علوم ووسائل فهم النص ضرورة ملحة لخدمته وقراءته قراءة الجمع مع الكون واكتشاف التداخل المنهجي بينهما ، وتخليص القرآن من كثير من أنواع التفسير والتأويل التي لم تلاحظ فيها أبعاد إطلاقيته ومفاهيم تصديقه لما سبقه وهيمنته عليه ، فحدث فيها ذلك الربط الوثيق بالنسبي من خلال الإسقاطات الإسرائيلية والربط الشديد بأسباب النزول والمناسبات ، ذلك الربط الذي لم يقف عند حدود الاستئناس في الفهم والتفسير في إطار قاعدة عدم تقييد عموم اللفظ بخصوص السبب ، بل تجاوز ذلك – لدى الكثيرين من إسلاميين وعلمانيين – إلى ربط القرآن بإطار زماني ومكاني إنساني معين هو إطار بيئة التنزيل مما يتعارض مع العالمية الإسلامية وخاتمية النبوة وحاكمية الكتاب التي تستلزم أن يكون القرآن نصاً مطلقاً كريماً يعطي بسخاء لكل العقول في سائر الأزمان ومختلف الأمكنة ويظل غنياً لا تنتهي عجائبه ولا تنقضي ، ولا يخلق من كثرة الرد، بل يتجاوز قدرات البشر الاستيعابية في كل زمان ومكان حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

فالقرآن المجيد هو المصدر الإنشائي الوحيد للإسلام فهو الذي جاء ﴿ تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ (النحل : ٨٩) ، أما السُّنَّة فهي المصدر التفسيري الملزم الوحيد للقرآن العظيم فهي التي جاءت لتبين للناس أن ما نزل إليهم . فالله - تعالى - قد تكفل بحفظ القرآن العظيم ، وتعهد ببيانه : ﴿إن علينا جمعه وقرءانه * فإذا قرأناه فاتبع قرءانه ثم إن علينا بيانه ﴾ (القيامة : ١٧ - ١٩) ، وليس على وجه الأرض مصدر للمعرفة والفكر والثقافة والحضارة غير القرآن محفوظاً ومحاطاً بكل هذه الضمانات الإلهية وعصم من التغيير والتبديل، وجعلت له السيادة التامة ، والحاكمية الكاملة : ﴿ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ﴾ (الشورى : ١٠) ، فلا يعطله نسخ ، ولا يناله تحريف ولا تبديل .

ولذلك فإن إعادة بناء مناهج التعامل مع القرآن الكريم كمصدر منهجي ومعرفي للعلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية سيعود على هذه العلوم كلها بالفوائد التي تجعلها قادرة على إمداد الحياة الإنسانية بما يخرجها من أزماتها ، وسيعيد العلاقة بين هذه العلوم والقيم إلى سابق عهدها ويربطها بمقاصد الحق وغائية الخلق ، وذلك بما سيمنحها من سعة في إدراك المحددات المعرفية والأبعاد المنهجية ويخرجها من دائرة البحث الجزئي عن أخبار أو ظواهر أو مصادر اكتشاف علمي جزئي في آيات الكتاب العزيز الذي هو شرعة ومنهاج هداية للبشر جميعاً ومعادل معرفي للكون في نظمه وبيانه وقواعد منهجيته .

* * *

المحور الرابع :

* بناء مناهج التعامل مع السُّنَّة النبوية المطهرة :

بناء منهج للتعامل مع السُّنَّة النبوية المطهرة يشكل رابع محاور « إسلامية المعرفة» . فالسُّنَّة النبوية باعتبارها المصدر التفسيري البياني الملزم الوحيد للنص القرآني لا بد من الوعي بحقيقتها وحقيقة دورها أيضاً من خلال تلك الرؤية المنهجية وباعتبار السُّنَّة النبوية المطهرة المصدر البياني ، فبدون السُّنَّة لا يمكن بيان المنهج والشرعة والمعرفة ومقومات الشهود الحضاري والعمراني كما لا يمكن بدونها فهم وفقه تنزيل قيم النص القرآني على الواقع ، فلقد كانت مرحلة النبوة وعصر

الصحابة مرحلة تعتمد على الاتصال المباشر برسول الله - ﷺ - ومتابعته والتأسي به فيما يقول أو يفعل : « خذوا عني مناسككم » (٦) ، « صلوا كما رأيتموني أصلي » (٧) ، والاتباع والتأسي يعتمدان على التحرك العملي في الواقع للرسول عليه الصلاة والسلام ، فالرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - كان يجسد بسلوكه القرآن في الواقع فلا تبدو هناك أية مشكلة في التطبيق وتنزيل القرآن على الواقع ، فالتطبيق النبوي والبيان المحمدي كانا يضيقان الشقة تماماً بين مكنونات المنهج الإلهي القرآني وبين الواقع بعقليات أهله ولغاتهم وقدراتهم الفكرية والمعرفية وبقدرات الرواة من الصحابة - رضوان الله عليهم - الذين كانوا حريصين على أن لا تفوتهم أية جزئية تتعلق بحياة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - لأن ذلك هو البديل الوحيد عن الوعي بالمنهج الناظم للقضايا المختلفة ولذلك اشتملت السُّنَّة على ذلك الكم الهائل من أقوال وأفعال وتقريرات رسول الله - ﷺ - وتلقينا كل تلك التفاصيل التي تجعلنا قادرين على أن نتابع حركته اليومية عليه الصلاة والسلام في غدوه ورُواحه وسلمه وحربه وتعليمه وقضائه وقيادته وفتواه وممارساته الإنسانية بطريقة تكشف عن أسلوبه أو سُنَّته عليه الصلاة والسلام وبيانها وتفسيرها لمنهج التعامل مع القرآن والواقع ، فكيف كان عليه الصلاة والسلام يربط بينهما ؟

كما أن السُّنَّة تكشف - إضافة لذلك - عن خصائص الواقع الذي كان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يتعامل معه ويتحرك فيه ، وهو واقع مغاير للواقع الذي نحياه في تركيبته وعقليته فيدفعنا ذلك إلى استنباط منهج فقه التنزيل على الواقع من خلال تطبيقات النبي المعصوم - ﷺ - لا من خلال النزوع إلى التقليد والمحاكاة في الجزئيات والتفاصيل كما يظن الكثيرون ، فمنهج التأسي والاتباع غير منهج التقليد .

لقد كان عليه الصلاة والسلام في سنته يمثل تجسيداً لمنهجية الربط بين القرآن والواقع ، ولذلك فإن من الصعب فهم كثير من القضايا التي وردت في السُّنَّة في معزل عن فهم ذلك الواقع الذي كان عليه الصلاة والسلام يتحرك فيه .

كما أن من الصعب تطبيق السنة وتحقيق واجب الاتباع والتأسي والاقتداء به ﷺ في إطار تتبع الجزئيات وحدها دون استنباط منهج للتأسي باعتباره ناظماً موضوعياً

للسنن يضم جزئياتها فى إطار منهجي ، فحين ينهى عليه الصلاة والسلام عن النحت والتصوير - مثلاً - ويعتبر المصورين من أشد الناس عذاباً يوم القيامة [٨] ، فلا ينبغي أن يفهم نهيه عن ذلك على أنه موقف عام مطلق من الجماليات المجسمة يتعارض مع فهم نبي الله سليمان الذي كان يجند الجن يصنعون له ما يشاء من تماثيل ، ولا ينتفي مع تساؤلات المعاصرين ومجادلاتهم في هذا الموضوع ونحوه وقول بعضهم بأننا لا نشعر بالرغبة أو الاستعداد لعبادة المصورات ، فلماذا يحرم علينا التصوير ؟ ولا يكون الحل بفتوى جزئية تحل هذا النوع من التصوير وتمنع ذلك ، بل يلاحظ فيها المنهج الذي أشار عليه الصلاة والسلام إليه فى مواقف عديدة مثل قوله : « لولا قومك حديثو عهد بكفر لفعلت وفعلت » [٩] .

لقد كان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يعمل على قطع دابر صناعة الأوثان والترويج لها بين قوم حديثي عهد بالجاهلية ويريد رفع درجة يقينهم التوحيدي المجرد إلى أعلى المستويات ، فلا بد - إذن - من الوصول إلى المنهج الناظم الضابط لمثل هذه القضايا وقراءتها قراءة معرفية تخرج الأحاديث والسنن إلى دائرة المنهج بدلاً من دائرة الجزئيات المتصارعة التي كثيراً ما يحولها المختلفون إلى أقوال جزئية تدل على الشيء ونقيضه وكأنها أقوال أئمة المذاهب المختلفة .

لقد ارتبط العرب فى مرحلة نزول القرآن بمفهوم الاقتداء والمتابعة واتخذوا من رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قدوة عملية جسدت لهم المنهج طبقاً لشروطهم وظروفهم الواقعية الحيوية ، وفى إطار الاقتداء والمتابعة نشأت مفاهيم «المأثور» و« المنقول » وجرت رواية الأحاديث وتناقلها منفصلة عن ظروفها وأسباب ورودها عن كثير من العناصر الضرورية لفهمها ، وعوملت على أنها بجملتها ، مصدر نصوص كنصوص القرآن المجيد يكفي لفهمها الإدراك اللغوي . وفى محاولة للتخفيف من آثار ذلك لجأ من لجأ إلى التأويل الباطني والتفسير الرمزي والإشاري كمخرج من التقيد بحرفية المأثور ، ولكن ما زاد ذلك الأمر إلا اضطراباً وكان الواجب هو الوصول إلى المنهج القرآني النبوي لتنضبط على هدى منه سائر التفاصيل والجزئيات ، ولتفهم الجزئيات في إطار المنهج الكلي فتتبين المقاصد وتتضح الغايات .

إن العقلية العلمية عقلية تبحث - باستمرار - عن الناظم المعرفي للأمور ،

وتحاول النفاذ ما استطاعت إلى المنهجية الكاملة الأبعاد ، وضمن هذه المنهجية تصبح عمليات التحليل والنقد والتفسير هي الإطار الأعمق والأشمل للحركة الفكرية في تعاملها مع النصوص ومع القضايا الكونية والمحلية ، وبهذه المنهجية يمكن النفاذ إلى مقاصد القرآن المجيد وفهم السُّنَّة النبوية دون الوقوع في إطار التقليدية السكونية أو التأويلات الباطنية أو تلك المحاولات التي تحاول إحداث تعديلات أو تأويلات لتطبيقات الماضي لتعيد إنتاجها في الحاضر فتكون بمثابة تعبير عن الماضي في ثوب جديد ، وذلك لا يحقق التجديد الذي قد ندعيه والذي ننشده بإعادة الارتباط بالقرآن الكريم بوصفه المصدر الإنشائي الوحيد وبالسنة بوصفها المصدر التفسيري الملزم الوحيد كذلك ، ولا يحقق أهداف هذا النوع من التجديد أهداف عالمية الهدى ودين الحق .

* * *

المحور الخامس :

* قراءة التراث الإسلامي قراءة سليمة :

وذلك بإعادة دراسة وفهم تراثنا الإسلامي وقراءاته قراءة نقدية تحليلية معرفية تخرجنا من الدوائر الثلاث التي غالباً ما تحكم أساليب تعاملنا مع تراثنا في الوقت الحاضر : دائرة الرفض المطلق ودائرة القبول المطلق ودائرة التلفيق والانتقاء العشوائي . فهذه الدوائر الثلاث لا يمكن أن تحقق التواصل مع ما يجب التواصل معه من هذا التراث ، كما لا يمكن أن تحقق القطيعة المعرفية مع ما يجب إحداث القطيعة معه من ذلك ، وكل هذه الأساليب تجعل من التراث معيقاً ومعرقلاً في الحاضر ومصادراً للمستقبل . لكن إعادة القراءة وفق منهجية معرفية سليمة كفيلة بمساعدتنا على الخروج من إطار الدوائر الثلاث وتحكيم النظام المعرفي الإسلامي والمنهجية المعرفية الإسلامية مع الاحتكام إلى مصدري الهدى والنور ، الكتاب والسُّنَّة ، في الحكم على قضايا التراث التي قد لا تكون مقصودة في ذاتها ولكنها ملاحظة في بيان منهجية تعامل العقل المسلم مع ظواهر الإنسان والكون على مختلف العصور ، وما يمكن الاستفادة به من هذه المنهجية في فهم ظواهرنا المعاصرة ذلك لأن التراث ليس فكراً متجاوزاً للزمان والمكان ، وإنما هو فكر نسبي مقيد محدد بحدود الزمان والمكان الذي وجد فيه ، ولكنه كأي فكر إنساني نسبي

في زمانه ومكانه وإنسانه . وكون التراث الإسلامي منطلقاً من نص موحي مطلق متجاوز لحدود الزمان والمكان يجعل نسبة الحقيقة فيه أكثر من ذلك الفكر المنفصل والمنبت عن الوحي ، مع ذلك فيجب وضع التراث في موضعه النسبي حيث أنه لا يعدو أن يكون أفكاراً ومعالجات وتفسيرات لواقع متغير يجب أن نبحث عن تحقيق أهداف محددة من وراء فهمه ، وإعادة اكتشافه تتمثل جملة في تحقيق التواصل والتراكم ومعرفة المنهاج والأنساق المعرفية التي سادته والاستفادة من الأفكار والأفهام الصالحة فيه لزماننا ومكاننا .

* * *

المحور السادس :

* التعامل مع التراث الغربي :

وذلك ببناء منهج للتعامل مع التراث الغربي المعاصر - أيضاً - لكي يخرج به العقل المسلم من أساليب التعامل الحالية التي تخلفت عن أطر ومحاولات المقاربات ثُمَّ المقارنات والمقابلات لتنتهي بالرفض المطلق ، أو القبول المطلق بروح مستلبة تماماً أو بروح الانتقاء العشوائي الذي لا تقوده منهجية منضبطة ولا قراءة معرفية تبحث عن الحكمة ولا تقع في إطار التقليد والنقل وتدرك أثر الفوارق الحضارية والثقافية على المعرفة الإنسانية .

* * *

● مهمة إسلامية المعرفة :

فهذه الخطوات أو المحاور الستة هي التي أطلقنا على الانطلاق منها مفهوم «إسلامية المعرفة» كمحاور أساسية لإنجاز هذه المهمة . فنحن قد وجدنا أنفسنا أمام وضعية عالمية تعمل على توظيف المعارف والعلوم واكتشافات العلوم الطبيعية ومنجزاتها توظيفاً يفصم العلاقة بين الخالق والكون والإنسان ، وذلك بطرح تصورات حول الوجود يبدو بعضها نقيضاً لتصوراتنا الإسلامية ، وقد تكون كذلك وقد لا تكون إذ ليست القضية أن ننتقي من مقولاتنا الدينية ما يتوافق مع تلك التصورات لنقول إنها لدينا من قبل ، أو أن نرفضها وندمغها بالكفر . فمنطلق إسلامية المعرفة منذ الأساس تجاه العلوم الكونية ليس منطلقاً كهنوتياً وليس مطلوباً

منا أن نقتدى بغيرنا لأن تجربة الغير في مواجهة العلم ومنجزاته تختلف عن تجربتنا فلو كان القرآن لاهوتاً لما جازت فيه إلا قراءة البعد الواحد ، أي القراءة الأولى فقط وقد أمرنا بخلاف ذلك ، فنحن لا نصارع العلم لأننا ندرك أن الوحي في آيات الله في الكتاب هو نفسه في آيات الله في الكون الطبيعي ، فإذا ظهرت انحرافات أسندت إلى العلم فالمطلوب تطهيره منها وهذا أساس الجمع بين القراءتين إذ لم يكن الدين من قبل يواجه سوى فكر عقلي وضعي مجرد ، ولم يكن مسلحاً بالعلم التطبيقي المعاصر ونتائجه التي أدت إلى قيام مذهبيات تجاوزت الوضعية التقليدية . فالمطلوب منا - وكما أمرنا كأمة مأمورة بنشر الهدى - استرجاع العلم من هذه المذهبيات المنحرفة وتطهيره من آثارها وإعادة توظيفه وضبطه بمنطلق الجمع بين القراءتين .

هذه المهمة التي ندعو لها كعلماء اجتماعيات مسلمين مهمة عالمية وإن تصورها البعض في إطار الخصوصية الجغرافية والبشرية الإسلامية . فنحن جزء متفاعل بعالم اليوم لا بغزوه الثقافي ، فذلك يمثل طبيعة القرنين الثامن والتاسع عشر ، ولكن بغزو العلم التجريبي التطبيقي الذي يتطلب منا جهداً في الأسلمة يعادل جهد أسلافنا الكرام في مواجهة الغزو الفكري الذي دق أبوابنا مع الثورة الفرنسية، إذ كنا نواجه وقتها حالة عقلية مجردة وبإمكانيات الوضعية العقلية المحدودة تمت تلك المواجهة التي لم تحقق أهدافها . أما الآن فإن المواجهة مع عقل علمي تجريبي أعاد صياغة العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية كلها ، فإما أن نتحول إلى موقف الدفاع اللاهوتي العاجز ، وإما أن نتحول إلى إسلامية المعرفة وتوجيه العلوم الطبيعية برؤية قرآنية كونية جامعة وإعادة بناء العلوم الاجتماعية والإنسانية وفقاً لتلك الرؤية القرآنية ، فكافة هذه العلوم التجريبية لا زالت تتعثر في انطلاقتها مقيدة إلى الجزئي ولم تأخذ بعداً كونياً يحتويها . والبعد الكوني كامن في الوحي القرآني : ﴿ **إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه ، فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير * لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ (غافر : ٥٦ - ٥٧) .

إن مهمتنا في « إسلامية المعرفة » عالمية وهي أيضاً قرآنية . فأمام التدافع الديني وإفلاس الأنساق الحضارية يتصدر القرآن - وحده - لقيادة هذه المعرفة وإعطائها

مضمون المعرفة المنهجية الشاملة باعتباره كتاب وحي مطلق قادر على الاستمرار في العطاء . فالمعركة الحضارية الحالية تمثل اختباراً لنا في فهمنا لمنهجية القرآن وقدرتنا على الهيمنة الحضارية به على مختلف مناهج العلوم من خلال منهجية الجمع بين القراءتين ، فالعلوم المعاصرة قد بلغت اليوم مرحلة تفكيك الظاهرة إلى حدود اللامتناهى في الصغر وتسبح في كون لامتناه في الكبر ، فلم تعد الظواهر كما فهمها الأقدمون من أسلافنا بل وفي العالم كله ينظر إليها باعتبارها تلك الأمور الشاخصة ، فقد أفسحت بعد الثورة التقنية المجال لحواس مجهرية وإلكترونية أعطت مفهوماً جديداً للظواهر ، فحيث فهم الأقدمون الذرة كحبة رمل مرئية فإن ذرة اليوم مجهرية ، فتحول معناها مما يبصر إلى ما لا يبصر : ﴿ فلا أقسم بما تبصرون * وما لا تبصرون ﴾ (الحاقة : ٣٨ - ٣٩) .

وحيث فهم الأقدمون الأطوار الزمانية فهماً تعاقبياً ، فإننا نفهم الأطوار اليوم على أنها صيرورة وتغيرات كيفية ونوعية وليست فقط كمية ، وهذا هو الفارق الجذري بين السببية العقلية الموضوعية كما هي في تراث كل البَشرية والسببية العلمية المعاصرة ، فالسببية المعاصرة صيرورة وتحولات بشرية .

ليست قضية « إسلامية المعرفة » - إذن - مجرد ترف نظري أو مصطلحات فلسفية حين تعيد تقديم قضية الجمع بين القراءتين : « ليخلص الفكر البشري من أزمة الكهنوت واللاهوت المستلب للإنسان والطبيعة ، وليخلص بذات الوقت من الإطار الوضعي للأفكار العلمية التي تفصمه عن خالقه ، فلكل من النهجين إسقاطاته على حياة الإنسان ونسقه الحضاري ومبادئه وتشريعاته ، « إسلامية المعرفة» مقدمة منهجية معرفية (لبديل حضاري عالمي) لا يستهدف إنقاذ المسلمين وحدهم ولكن يستهدف إنقاذ العالم كله ، وهذه مهمة تتطلب العديد من الدراسات والبحوث المميزة بداية ببحوث ودراسات في القرآن العظيم نفسه تجري ضمن فهم جديد ومن منظور علمي وعالمي ، وهذه هي مهمة إسلامية المعرفة الأساسية وواجب أجيالها .

إنه دون فهم القرآن منهجياً ضمن وحدته البنائية الكتابية الكاملة بشكل يماثل فهمنا المنهجي المعاصر للظواهر الكونية وحركتها في وحدتها العضوية يستحيل قطعاً تأسيس إسلامية المعرفة . وسوف تواجهنا ونحن نقدم للعالم قضيتنا

مشكلات عدة ، منها أن العقل العلمي العالمي المعاصر رافض لكل الكتب الدينية وقد يتسامح مع بعض موضوعاتها فقط ولكنه يرفض منهجيتها ووحدتها البنائية مؤكداً على أن اختصاصها لا ينبغي أن يتجاوز القناعات الإيمانية وغيبيات ما وراء الطبيعة ، وبالتالي فإن أية مقولات تأتي من الكتب الدينية لا مجال لقبولها علمياً لأن ذلك في زعم هؤلاء يؤدي إلى تزييف أحدهما أو التلفيق بينهما ، وعلى ذلك فإن العلم الحديث يشير إلى أن كل ما تشير إليه الكتب السماوية من كائنات غير مرئية وكذلك أخبار الماضين والقصص التاريخي الديني يعتبر مناقضاً للتاريخ الوضعي ومرفوضاً لدى العلم الموضوعي المعاصر بحسب الفهم السائد له .

إن هذا المنطلق يصدر عن فهم خاطيء لمفهوم « الجمع بين القراءتين » ، فغاية الجمع بين القراءتين أن تنتهي إلى فهم كوني للوجود بخلاف القراءة الثانية بمفردها فلو اكتفينا بالقراءة الثانية (قراءة الوجود) فقط فإننا سنبقى في حدود الإطار الوضعي للفكر ومقولاته حول الوجود ونمارس مفهوماً يعتمد على تفكيك الظاهرة وتجزءتها بمنطق الجدلية العلمية المعاصرة واحتماليتها ونسبيتها . وهنا تبرز محاذير إفراد القراءة الثانية التي لا بد أن تنتهي بنا إلى فكر وضعي جزئي لا إلى فكر كوني ، أما حين نجمع القراءة الثانية مع الأولى فإننا سوف نتدرج من الجزئي الموضعي المحدود إلى الكلي في إطلاقه الكوني بما فيه من ظواهر مرئية وغير مرئية، فكل رفض لما يسمونه بالغيبيات أو الماورائيات هو رفض للقراءة الأولى ، القراءة الكونية باسم الله خالقاً بقراءة الوحي ، فالوحي الكلي مطلق مستوعب للجزئي وليس العكس ، فالقراءة الأولى تضع الغيبيات والماورائيات كجزء أساس في المنهج لا باعتبارها مسلمات تستدعي الإيمان بها فقط ولكن باعتبارها دليل على وجود كوني أكبر مما تدل عليه القراءة ، القراءة الثانية أي القراءة الموضوعية في الوجود .

إن العالم ليخرج من أزمته الفكرية والحضارية يحتاج لإدراك البعد الكوني بمعناه الغيبي في تركيب الوجود ومصيره ، وهذه هي مهمة القراءة الأولى ، فالمهمة كبيرة ومتسعة باتساع هذه الكونية وبدايتها الجمع بين القراءتين وغايتها « إسلامية المعرفة» البشرية ليعم الرشد ويسود الحق وينتشر الهدى .

هذه - باختصار شديد - هي « إسلامية المعرفة » في إطارها الفلسفي المعرفي ،

وتلك هي صلتها بالوحي وبالكون ، أما أهدافها ومقاصدها العليا - على سبيل الإجمال - فيمكن تحديدها في الآتي :

أولاً : إعادة بالربط بين المعرفة والعلم والقيم ، أو بعبارة أدق ، استرجاع العلم إلى دائرة القيم بعد أن استلبته الوضعية المنطقية وثبت خطأ وخطورة هذا الفصام بين المعرفة والعلم والقيم على البشرية ، والمراقب لتطور العلم المعاصر يلاحظ أن الإنتاج المعرفي الغربي في أوروبا والولايات المتحدة بدأت تظهر فيه بصورة ملفتة عناوين وموضوعات تتحدث عن القيم والعلم والمعرفة في كل حقل من حقوله الفرعية ، بل إن « ما بعد الحداثة » في أحد توجهاتها المعرفية تمثل اتجاهاً يسعى لتحقيق ذلك الربط بعد فشل مشروع الحداثة القائمة على الفصل التعسفي بين العلم والقِيَم ، وإذا كان هذا هو الواقع المعاصر فإن نظرة الإسلام للعلم ليست في حاجة إلى تجربة وخطأ مثلما حدث في تطور تاريخ العلم الأوروبي ، بل هناك أسس راسخة لا تفصل بين القيم والعلم ولا ترى إمكانية ذلك ، ومن ثم فإن مدرسة « إسلامية المعرفة » تهدف إلى جعل هذه القاعدة أطروحة عالمية تقدم لها الأطر الفلسفية والاستراتيجية والوسائل اللازمة للتحقيق ، مع وضع الضوابط الضرورية لربط العلم بالحقيقة لا بالأهواء ، ومن ثم يكون الجهد التنظيري منصرفاً لا إلى محاولة الفصل بين العلم والقيم أو بين الذات والموضوع ، ولكن بين الحق والحقيقة والواقع من ناحية ، وبين الهوى والظن والتوهم والجهل من ناحية أخرى، ذلك الفصل الذي يحفظ العلم من الأهواء أو الظن والتوهم ويربطه بالحق والحقيقة بغض النظر عن التحيزات والانتماءات المذهبية والدينية والرغبات ، حيث إن القاعدة هي ما ورد في قوله تعالى : ﴿ **ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا* اعدلوا هو أقرب للتقوى** ﴾ (المائدة : ٨) ، ﴿ **ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً** ﴾ (الإسراء: ٣٦) .

ثانياً : التفاعل والجدل بين القراءتين ، قراءة الوحي وقراءة الكون بما يعنيه ذلك من تحقيق الانسجام في الكون بين الإنسان وسائر المخلوقات من حيوان وطير وجماد ونبات حيث تسير جميعها طبقاً لسنن واحدة تحكمها قواعد واحدة وتسعى لغاية واحدة هي عبادة الله والتسبيح له سبحانه ، وذلك يعني الربط بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية ربطاً لا ينطلق من الوضعية المنطقية التي ترى أن

العلوم الاجتماعية لكي تكون علوماً حقيقية لا بد أن تقوم على نفس مناهج العلوم الطبيعية ، بل ينطلق من إرجاع كليهما - العلوم الطبيعية والاجتماعية - إلى فلسفة واحدة تندمج وتتفاعل مع قراءة الوحي ، وكذلك يسعى لكشف القوانين العامة التي تحكم كلا منهما وتسهم في فهمهما الفهم المستقيم المؤدي إلى حسن تعامل وتحقيق نفع لا يقوم على تدمير بيئة أو إهدار لطاقاتها أو علاقة صراعية معها تسعى للتحكم فيها والهيمنة عليها لكنها تسعى إلى التفاعل معها من منطلق التسخير والأمانة والاستخلاف ، وكذلك يضع الفروق الداخلية والفواصل والخصوصيات بين مختلف الحقول المعرفية بصورة تحفظ تكامل الوحدات الجزئية في إطار الكل المنسجم المتناغم .

ثالثاً : حل إشكالات النهايات الفلسفية الجامدة التي سقطت فيها المعرفة الغربية المعاصرة حيث يسودها دائماً مفهوم (End) سواء في نهاية التاريخ أو نهاية الليبرالية أو نهاية العالم . . . وذلك لتلافي الإجابة عن سؤال كلي فشلت جميع الفلسفات الإنسانية في الإجابة عنه لأنها تجاهلت الوحي فلم تستطع الإجابة عنه ، ذلك السؤال هو : ما هي غاية هذا الكون وأين تقع نهايته ؟ ولذلك سعت الماركسية كخلاصة للفكر الأوروبي إلى وضع نهاية متخيلة توقعت حدوثها تمثلت في المرحلة الشيوعية الكاملة ، حيث تسود الوفرة ويعمل كل إنسان حسب طاقته ويأخذ ويتمتع بحسب حاجته وبفشل الماركسية تراجعت الحضارة الأوروبية خطوات إلى الوراء ورأت أن الوضع الحالي في النظام الليبرالي الرأسمالي هو نهاية التاريخ ومن هنا فإن أطروحات « إسلامية المعرفة » ، ونظامها المعرفي لا يضع نهاية مسرحية أو سيناريو تصويرياً للوجود البشري أو الحضارة ، بل يطلق ذلك النظام الفعاليات ويفتح الآفاق ويلغى تماماً التفكير في النهاية كإشكالية معرفية ، إذ إنها نهاية مفتوحة معرفياً لا حدود لها في هذه الدنيا ، فهي تخرج عن حدود الكون الذي نعيش فيه وتخرج عن حدود الخطاب البشري أو فهوماته كما يقول رسول الله - ﷺ - : « إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة واستطاع أن يغرسها فليغرسها » (١٠) ، وكأنه - ﷺ - يريد تأكيد أنه حتى لو تأكدت كل علامات الساعة فلا تبحث عن النهاية أو تضع حداً لحضارة الإنسان أو عملية عمران الأرض .

تلك هي « إسلامية المعرفة » كما نفهمها في طورها هذا ، وفي مرحلة نموها الحالية ، تدعو لاستنفار ثقافي إسلامي عالمي باتجاه عالمية شاملة لبناء حضارة الإنسان وتعمير الأرض وتحقيق السعادة لجميع البشر وإنقاذ الإنسانية من مصير يلوح في أفقه الهلاك وبناء الأمة الوسط الخيرة الراشدة الداعية إلى المعروف الناهية عن المنكر والساعية لسعادة الدارين . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

* * *

الهوامش

١ - إن إسلامية المعرفة لم تعد كما كانت في باديء الأمر الفكرة المنهجية المنضبطة التي قام عليها ومن أجلها المعهد العالمي للفكر الإسلامي ومكاتبه وفروعه في العالم كله .
حيث إن هذه الفكرة على ما يبدو قد راقت لبعض الجهات في إطارها العام أو عنوانها فأخذت تنتج بطريقتها الخاصة ما تتجه تحت هذا العنوان أو عناوين موازية أخرى اختارتها بعناية أو بدون عناية والمعهد لا يعتبر نفسه مسئولاً عن تلك الجهات أو ممثلاً لاتجاهاتها كما أنها لا تعبر عن القضية في منهجيتها وشموليتها التي تبناها المعهد واشتملت عليها أدبياتها وإصداراته ، ولكاتب هذا البحث رسالة أخرى صدرت بعنوان : «إصلاح مناهج الفكر » جرت فيها الإشارة إلى محاولات مصادرة هذه القضية أو تسطيحها أو نحو ذلك ، فيلاحظ هذا وليتنبه إليه .

٢ - كأركان الإيمان والفرائض والعبادات والمحرمات والتي يجملها بعض العلماء بأنها المعلوم من الدين بالضرورة .

٣ - مدخل إلى إسلامية المعرفة - د . عماد الدين خليل .

٤ - منهجية القرآن وأسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية . محمد أبو القاسم حاج حمد .

٥ - الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية لجلال الدين السيوطي ص ١٥٨ .

٦ - حديث : « خذوا عني مناسككم . . . » أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله .

٧ - حديث : « صلوا كما رأيتموني أصلي . . . » أخرجه البخاري في حديث طويل عن أبي قلابة عن مالك بن الحويرث ، صحيح البخاري (١/١١٧) ، وأخرجه أحمد في مسنده (٥/٥٣) .

٨ - حديث : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة . . » أخرجه النسائي في سننه ، كتاب الإيمان بالشرائع ، باب ذكر أشد الناس عذاباً (٥٣ - ٥٦) .

٩ - حديث : « لولا قومك حديثي عهد بكفر . . . » أخرجه النسائي في سننه ، كتاب الزكاة ، باب بناء الكعبة (٢٩٠٠) من حديث عائشة ، بلفظ : « لولا حداثة عهد قومك بالكفر لنقضت البيت فبنيته على أساس إبراهيم عليه السلام وجعلت له خلفاً . . . » .

١٠ - حديث : « إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة . . . » أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ١٨٤) من حديث أنس بن مالك .

* * *

إصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي

أولاً ـــ سلسلة إسلامية المعرفة

- ـــ إسلامية المعرفة: المبادئ وخطة العمل، الطبعة الثانية، الدار العالمية للكتاب الإسلامي/ الرياض/ ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م..
- ـــ الوجيز في إسلامية المعرفة: المبادئ العامة وخطة العمل مع أوراق عمل بعض مؤتمرات الفكر الإسلامي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م. أعيد طبعه في المغرب والأردن والجزائر.
- ـــ نحو نظام نقدي عادل، للدكتور محمد عمر شابرا، ترجمه عن الإنجليزية سيد محمد سكر، وراجعه الدكتور رفيق المصري، الكتاب الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، الطبعة الثالثة (منقحة ومزيدة)، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- ـــ نحو علم الإنسان الإسلامي، للدكتور أكبر صلاح الدين أحمد، ترجمه عن الإنجليزية الدكتور عبد الغني خلف الله، (دار البشير/ عمان الأردن) ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- ـــ منظمة المؤتمر الإسلامي، للدكتور عبدالله الأحسن، ترجمه عن الإنجليزية الدكتور عبد العزيز الفائز، الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.
- ـــ تراثنا الفكري، للشيخ محمد الغزالي، الطبعة الثانية، (منقحة ومزيدة) ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- ـــ مدخل إلى إسلامية المعرفة: مع مخطط لإسلامية علم التاريخ، للدكتور عماد الدين خليل، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة)، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- ـــ إصلاح الفكر الإسلامي، للدكتور طه جابر العلواني، الطبعة الثالثة، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- ـــ إسهام الفكر الإسلامي في الاقتصاد المعاصر، أبحاث الندوة المشتركة بين مركز صالح عبدالله كامل للأبحاث والدراسات/ بجامعة الأزهر والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

ثانيًا ـــ سلسلة إسلامية الثقافة

- ـــ دليل مكتبة الأسرة المسلمة، خطة وإشراف الدكتور عبد الحميد أبو سليمان، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة) الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- ـــ الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، للدكتور يوسف القرضاوي (بإذن من رئاسة المحاكم الشرعية بقطر)، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

ثالثًا ـــ سلسلة قضايا الفكر الإسلامي

- ـــ حجية السنة، للشيخ عبد الغني عبد الخالق، الطبعة الثانية، دار الوفاء، القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- ـــ أدب الاختلاف في الإسلام، للدكتور طه جابر العلواني، الطبعة الخامسة (منقحة ومزيدة) ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- ـــ الإسلام والتنمية الاجتماعية، للدكتور محسن عبد الحميد، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- ـــ كيف نتعامل مع السنة النبوية: معالم وضوابط، للدكتور يوسف القرضاوي، الطبعة الخامسة، دار الوفاء، القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- ـــ كيف نتعامل مع القرآن: مدارسة مع الشيخ محمد الغزالي أجراها الأستاذ عمر عبيد حسنة، الطبعة الثالثة، دار الوفاء، القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

- مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، للأستاذ عمر عبيد حسنة، الطبعة الثانية، دار القارئ العربي، القاهرة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- حول تشكيل العقل المسلم، للدكتور عماد الدين خليل، الطبعة الخامسة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- المسلمون والبديل الحضاري للأستاذ حيدر الغدير، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- مشكلتان وقراءة فيهما للأستاذ طارق البشري والدكتور طه جابر العلواني، الطبعة الثالثة، دار القارئ العربي، القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- حقوق المواطنة: حقوق غير المسلم في المجتمع الإسلامي، للأستاذ راشد الغنوشي، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

رابعًا ـ سلسلة المنهجية الإسلامية

- أزمة العقل المسلم، للدكتور عبد الحميد أبو سليمان، الطبعة الثالثة، دار القارئ العربي، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية: أعمال المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلامي،
  الجزء الأول: المعرفة والمنهجية، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
  الجزء الثاني: منهجية العلوم الإسلامية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
  الجزء الثالث: منهجية العلوم التربوية والنفسية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- معالم المنهج الإسلامي، للدكتور محمد عمارة، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- في المنهج الإسلامي: البحث الأصلي مع المناقشات والتعقيبات، الدكتور محمد عمارة، القاهرة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، للدكتور عبد المجيد النجار، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- المسلمون وكتابة التاريخ: دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ، للدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- في مصادر التراث السياسي الإسلامي: دراسة في إشكالية التعميم قبل التأصيل والاستقراء، للأستاذ نصر محمد عارف، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

خامسًا ـ سلسلة أبحاث علمية

- أصول الفقه الإسلامي: منهج بحث ومعرفة، للدكتور طه جابر العلواني، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- التفكر من المشاهدة إلى الشهود، للدكتور مالك بدري، الطبعة الثالثة، (منقحة) ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- العلم والإيمان: مدخل إلى نظرية المعرفة في الإسلام، للدكتور إبراهيم أحمد عمر، الطبعة الثانية (منقحة) ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- فلسفة التنمية: رؤية إسلامية، للدكتور إبراهيم أحمد عمر، الطبعة الثانية (منقحة) ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين، للدكتور عبد المجيد النجار، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

سادسًا ـ سلسلة المحاضرات

- الأزمة الفكرية المعاصرة: تشخيص ومقترحات علاج، للدكتور طه جابر العلواني، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

سابعًا ـ سلسلة رسائل إسلامية المعرفة

- خواطر في الأزمة الفكرية والمأزق الحضاري للأمة الإسلامية، للدكتور طه جابر العلواني، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث، للأستاذ محمد المبارك، القاهرة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- الأسس الإسلامية للعلم، للدكتور محمد معين صديقي، القاهرة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

- تصنيف المنهجية في الفكر الإسلامي، للدكتور عبد الحميد أبو سليمان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- صياغة العلوم صياغة إسلامية، للدكتور اسماعيل الفاروقي، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية، للدكتور زغلول راغب النجار، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

ثامنًا ــ سلسلة الرسائل الجامعية

- نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، للأستاذ أحمد الريسوني ، الطبعة الأولى، دار الأمان ــ المغرب، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، الطبعة الثانية، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ــ الرياض ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، الطبعة الثالثة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- الخطاب العربي المعاصر: قراءة نقدية في مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة (١٩٧٨ــ١٩٨٧)، للأستاذ فادي إسماعيل، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة)، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، الطبعة الثالثة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢.
- منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، للأستاذ محمد محمد إمزيان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- المقاصد العامة للشريعة: للدكتور يوسف العالم، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- نظريات التنمية السياسية المعاصرة: دراسة نقدية مقارنة في ضوء المنظور الحضاري الإسلامي، للأستاذ نصر محمد عارف، الطبعة الثالثة، دار القارئ العربي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- القرآن والنظر العقلي، للأستاذة فاطمة إسماعيل، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، للدكتور راجح الكردي، دار المؤيد، الرياض، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، للدكتور عبد الرحمن الزنيدي، دار المؤيد الرياض، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- الزكاة: الأسس الشرعية والدور الإنمائي والتوزيعي، للدكتورة نعمت عبد اللطيف مشهور، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي: دراسة إسلامية في ضوء الواقع المعاصر، للدكتور سليمان الخطيب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- الأمثال في القرآن الكريم، للدكتور محمد جابر الفياض، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

تاسعًا ــ سلسلة المعاجم والأدلة والكشافات

- الكشاف الاقتصادي لآيات القرآن الكريم، للأستاذ محي الدين عطية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- الكشاف الموضوعي لأحاديث صحيح البخاري، للأستاذ محي الدين عطية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- الفكر التربوي الإسلامي، للأستاذ محي الدين عطية، الطبعة الثالثة (منقحة ومزيدة) ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- قائمة مختارة: حول المعرفة والفكر والمنهج والثقافة والحضارة، للأستاذ محي الدين عطية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، للدكتور نزيه حماد، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

عاشرًا ــ سلسلة تيسير التراث

- كتاب العلم، للإمام النسائي، دراسة وتحقيق الدكتور فاروق حمادة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

حادي عشر ــ سلسلة حركات الإصلاح ومناهج التغيير

- هكذا ظهر جيل صلاح الدين.. وهكذا عادت القدس، للدكتور ماجد عرسان الكيلاني، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة)، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

ثاني عشر ــ سلسلة المفاهيم والمصطلحات

- الحضارة ــ الثقافة ــ المدنية دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، للأستاذ نصر محمد عارف ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

الموزعون المعتمدون لمنشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي

المملكة العربية السعودية: الدار العالمية للكتاب الإسلامي ص.ب 55195 الرياض 11534
تليفون: 1-465-0818 (966) فاكس: 1-463-3489 (966)

المملكة الأردنية الهاشمية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي ص.ب. 9489 ـ عمان
تليفون: 639-992 (962-6) فاكس: 611-420 (962-6)

لبنان: المكتب العربي المتحد ص.ب. 135788 بيروت.
تليفون 807-779 (961-1) 860-184 (961-1) فاكس: 478-1491 (212) C/O

المغرب: دار الأمان للنشر والتوزيع، 4 زنقة المامونية الرباط
تليفون: 723-276 (212-7) فاكس: 200-055 (212-7)

مصر: دار النهار للطبع والنشر والتوزيع، 7 ش الجمهورية عابدين – القاهرة
هاتف 3406543 (2-20) فاكس 3409520 (2-20)

الإمارات العربية المتحدة: مكتبة القراءة للجميع ص.ب 11032، دبي (سوق الحرية المركزي الجديد)
تليفون: 663-901 (971-4) فاكس 690-084 (971-4)

شمال أمريكا:

ـ السعداوي/ المكتب العربي المتحد · SA'DAWI PUBLICATIONS /UNITED ARAB BUREAU
P.O. Box 4059, Alexandria, VA 22303 USA. Tel: (703) 329-6333 Fax: (703) 329-8052

ـ خدمات الكتاب الإسلامي — ISLAMIC BOOK SERVICE
10900 W. Washington St. Indianapolis, IN 43231 USA
Tel: (317) 839-9248 Fax: (317) 839-2511

بريطانيا:

ـ المؤسسة الإسلامية — THE ISLAMIC FOUNDATION
Markfield Da'wah Center, Ruby Lane Markfield, Leicester LE6 ORN, U.K.
Tel: (44-530) 244-944/45 Fax: (44-530) 244-946

ـ خدمات الإعلام الإسلامي — MUSLIM INFORMATION CENTRE
233 Seven Sisters Rd. London N4 2DA, U.K.
Tel: (44-71) 272- 5170 Fax: (44-71) 272-3214

فرنسا: مكتبة السلام — LIBRAIRE ESSALAM
135 Bd. de Menilmontant. 75011 Paris Tel: (33-1) 43 38 19 56 Fax: (33-1) 43 57 44 31

بلجيكا: سيكومبكس — SECOMPEX. Bd. Mourice Lemonnier; 152
1000 Bruxelles Tel (32-2) 512-4473 Fax (32-2) 512-8710

هولندا: رشاد للتصدير — RACHAD EXPORT, Le Van Swinden Str. 108 11
1093 Ck Amsterdam Tel: (31-20) 693-3735 Fax (31-20) 693-8827

الهند: GENUINE PUBLICATIONS & MEDIA (Pvt.) Ltd.
P.O Box 9725 Jamia Nager New Delhi 100025 India
Tel: (91-11) 630-989 Fax: (91-11) 684-1104

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

المعهد العالمي للفكر الإسلامي مؤسسة فكرية إسلامية ثقافية مستقلة أنشئت وسجلت في الولايات المتحدة الأمريكية في مطلع القرن الخامس عشر الهجري (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) لتعمل على:

- توفير الرؤية الإسلامية الشاملة، في تأصيل قضايا الإسلام الكلية وتوضيحها، وربط الجزئيات والفروع بالكليات والمقاصد والغايات الإسلامية العامة.
- استعادة الهوية الفكرية والثقافية والحضارية للأمة الإسلامية، من خلال جهود إسلامية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ومعالجة قضايا الفكر الإسلامي.
- إصلاح مناهج الفكر الإسلامي المعاصر، لتمكين الأمة من استئناف حياتها الإسلامية ودورها في توجيه مسيرة الحضارة الإنسانيّة وترشيدها وربطها بقيم الإسلام وغاياته.

ويستعين المعهد لتحقيق أهدافه بوسائل عديدة منها:

- عقد المؤتمرات والندوات العلميّة والفكريّة المتخصصة.
- دعم جهود العلماء والباحثين في الجامعات ومراكز البحث العلمي ونشر الإنتاج العلمي المتميز.
- توجيه الدراسات العلميّة والأكاديمية لخدمة قضايا الفكر والمعرفة.

وللمعهد عدد من المكاتب والفروع في كثير من العواصم العربية والإسلامية وغيرها يمارس من خلالها أنشطته المختلفة، كما أن له اتفاقات للتعاون العلمي المشترك مع عدد من الجامعات العربية الإسلامية والغربيّة وغيرها في مختلف أنحاء العالم.

The International Institute of Islamic Thought
555 Grove Street (P.O. Box 669)
Herndon, VA 22070-4705 U.S.A
Tel: (703) 471-1133
Fax: (703) 471-3922
Telex: 901153 IIIT WASH

هذا الكتاب

يؤكد منذ البداية أن إسلامية المعرفة تعبير عن رؤية منهجية ومنظور معرفي وليست حقلاً علمياً دراسياً أو تخصصاً أو أيديولوجية أو نحلة جديدة ، وإسلامية المعرفة – تسعى دائماً إلى التجدد والتبلور واكتشاف الذات والواقع وعدم التقوقع أو الوقوف عند مرحلة زمنية معينة أو مقولات ثابتة و إن إدراك حقيقة إسلامية المعرفة يتوقف على النظر إليها على أنها منهج فى التعامل مع المعرفة ومصادرها أو منظور معرفى فى طور البناء والانضاج .

و الجمع بين القراءتين أساس وقاعدة ضمن عملية إسلامية المعرفة ، فكل من القراءتين ركن معرفى ومصدر إنشائى لايمكن تجاوزه أو التساهل فى قراءته ، ويستحيل قيام عمران رشيد ، وحضارة سديدة بدون جمعهما وضمهما معاً .

و قضية إسلامية المعرفة إذن قضية منهجية تقوم على اكتشاف العلاقة المنهجية بين الوحى والكون ، ومن ثم فإن أفكارها و معالمها المنهجية تتضح فى إطار محاور ستة (بناء النظام المعرفى الإسلامى – بناء المنهجية المعرفية القرآنية – بناء مناهج التعامل مع القرآن العظيم – بناء مناهج التعامل مع السنة النبوية المطهرة – قراءة التراث الإسلامى قراءة سليمة – مناهج التعامل مع التراث الإنسانى والتراث الغربى منه على وجه الخصوص)

إسلامية المعرفة ضمن إطارها الفلسفى المعرفى ، وضمن صلتها بالوحى وبالكون لابد أن تتحرك صوب أهداف و مقاصد عليا تمكن من إعادة الربط بين المعرفة والعلم والقيم ، وضرورات التفاعل والجمع بين القراءتين ، قراءة الوحى وقراءة الكون و الإسهام فى حل إشكالات النهايات الفلسفية الجامدة التى سقطت فيها المعرفة الغربية المعاصرة .. سواء فى نهاية التاريخ أو نهاية العالم .

إسلامية المعرفة فى طورها هذا وفى مرحلة نموها تلك تدعو إلى استنفار ثقافى إسلامى عالمى باتجاه عالمية شاملة لبناء حضارة الإنسان وتعمير الأرض .. وبناء الأمة الوسط الخيرة الراشدة الداعية إلى المعروف والناهية عن المنكر والساعية لسعادة الدارين .